مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
e-ISSN: 3078-6355 الرقم الدولي: RCTD GIJR - 0015-25 رقم تسجيل المجلة:

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/١٠,٦٢٨١٠/jis.v٢i١,٢١١

# فهم الأديان دراسة تحليلية في مدى إمكانية التحقق

**الباحث:**

الأستاذ الدكتور أحمد زايد، الأستاذ بجامعة قطر، قسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قطر.

**الايميل:** Ahmad.zayed@qu.edu.qa

**تاريخ المادة:**

تاريخ الإرسال: ( ٠٢ ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٨ ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٢١ ربيع الأول ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٣٠ ربيع الأول ١٤٤٧)

**الملخص:** يتوسع جامعات العالم اليوم في دراسة مقارنة الأديان ومنها جامعات العالم الإسلامي، وتختلف نتائج هذه الدراسات قوة وضعفا، من باحث لآخر، ومن جامعة لأخرى، ويختلف بناء على ذلك الحكم الصادر على ديانة أو جزء منها بناء على قوة أو ضعف الأسس والمنهجيات التي تقوم عليها هذه البحوث وتلك الدراسات. وهذا البحث يعالج قضية مركزية ألا وهي فهم الأديان ومدى إمكانية تحقق ذلك، يبين عوائق في طريق فهم الأديان أمام المتخصصين، مقسما إياها إلى عوائق تتعلق بمضمون كل ديانة ومصادرها، وأخرى تتعلق بسياقات خارج كل ديانة، مع تقديم حلول ومقترحات لتجاوز هذه العوائق، لتصبح تلك الدراسات حول الأديان دراسات جادة منصفة، تتسم بالشمول والدقة والموضوعية. ونوه البحث بمنهجيات علمائنا المتقدمين في دراسة الأديان، وانضباطهم العلمي في هذا المجال، وتجاربهم العملية التي أبرزوها في مصنفات ما زالت معتمدة إلى اليوم. ويؤكد البحث إلى ضرورة عدم العجلة في ادعاء التخصص في مقارنة الأديان، نظرا لأن الكثيرين لم يتجاوزا بعد عقبات فهم الأديان. والهدف من الدراسة تنبيه الباحثين إلى خطورة تلك العوائق، والتأني في البحث، والتوجه نحو الدراسات الرأسية، وانتهاج منهج المشاريع البحثية التكاملية. إلى غير ذلك.

**الكلمات المفتاحية:** التجربة الدينية، تطور الأديان، عوائق، فهم الأديان، نصوص تأسيسية.

# Understanding Religions: An Analytical Study on the Possibility of Verification

**ABSTRACT**: This study addresses a central issue: the possibility of comprehending religions and the extent to which such comprehension is attainable. It situates the discussion within the broader academic trend of expanding comparative religion studies in universities worldwide, including those in the Islamic world. The outcomes of these studies vary considerably in rigor and reliability, depending on the strength or weakness of their methodological foundations, which in turn directly affects the judgments rendered concerning religions or particular aspects thereof. The research argues that the obstacles facing scholars in this field arise partly from within religions themselves, in their substance and foundational texts, and partly from external historical, social, and cultural contexts that shape their interpretation. To address these challenges, the study advances a set of methodological recommendations aimed at fostering more rigorous, balanced, and objective scholarship. Special emphasis is placed on the approaches of classical Muslim scholars, whose intellectual discipline and practical contributions remain evident in enduring works that continue to inform the study of religions to this day. The study further cautions against premature claims of expertise in comparative religion, highlighting the critical importance of recognizing the barriers that impede genuine understanding. It advocates for patience, depth, and precision in research, with a call for vertical studies and the adoption of collaborative, integrative research projects.

**Keywords:** Development of religions, Foundational texts, Obstacles, Understanding religions, Religious experience

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، هذه قاعدة مقررة في العلم، وفي درس مقارنة الأديان القديم والحديث واجه الباحثون مشكلةً منهجيةً هي مشكلة فهم الأديان التي يبحثونها، وسجل كل عالم وباحث خبرته وتصوره حول الدين أو الأديان التي يبحثها. وبنى المتأخرون غالبا آراءهم وأحكامهم على كثير مما سجله المتقدمون، وبعضهم زاد أو استدرك. وقد اكتنف الكلام عن أديان الآخرين سؤالٌ منهجيٌ هو: هل يمكن لغيرنا أن يفهم ديننا؟، حيث يرى أهل كل دين أن الناظر في دينهم من غيرهم غير جدير بالحكم على دينهم لأسباب كثيرة منها أنه لا يمكنه أن يفهم دينهم على الوجه المطلوب. بينما يرى كل باحث مختص في الأديان أنه يملك أحكاما وتصورات صحيحة حول الأديان التي يتوجه إليها بالبحث والدرس.

**أهمية البحث:**

تتجلى أهمية البحث في كونه يعالج مسألة علمية تتعلق بصلب البحث في الأديان، وهي مسألة العوائق التي تحول دون فهم صحيح عميق شامل للأديان، وهذه المسألة من الأهمية بمكان، من حيث ما يصدر عن الباحث في الأديان من أحكام حول الأديان، ولهذه الأحكام آثار دينية وأخرى دنيوية. إضافة إلى كون البحث يقترح بعض الحلول ويضع بعض التصورات لتجاوز هذه العوائق رغبة في وصول درس مقارنة الأديان المعاصر إلى مبتغاه العلمي والأكاديمي.

**أهداف البحث:**

تتمثل أهداف هذا البحث في أربعة أهداف رئيسة:

- الإسهام في تطوير درس مقارنة الأديان المعاصر، بتطوير النظرة إلى الأديان من حيث إدراك العوائق الرئيسة التي تحول دون تحقيق فهم وتصور صحيح لها.
- بعث جوانب أخلاقية في نفوس الباحثين في الأديان من حيث التواضع والتأني في إطلاق مصطلح " متخصص في الأديان" أو ادعائه، قبل امتلاك ناصية هذا العلم المتشعب الواسع.
- توضيح جملة العوائق المتعلقة بمضمون الدين أو الخارجة عنه والتي يغفل عنها الباحث في الأديان مع كونها تعيق التصور وتشوش عليه في الفهم.
- بيان الاختلاف الواسع بين الصورة التاريخية للأديان وبين صورتها المعاصرة، نظرا للتطورات الهائلة التي لحقت بها.

**أسئلة البحث:**

يجيب البحث عن جملة من الأسئلة:

هل حقا تمثل مشكلة فهم الأديان تحديا ومشكلة منهجية في حقل تاريخ الأديان أو مقارنة الأديان؟

وهل فهم الأديان بصورة كاملة وصحيحة أمر ممكن التحقق؟

ما العوائق الموضوعية والمنهجية التي تعيق تحقق فهم الأديان ؟

هل يمكن تجاوز عوائق فهم الأديان في الدرس الديني المعاصر؟

**الدراسات السابقة:**

لم أجد بحثا علميا محكما يتناول هذا الموضوع بالخصوص، وقد وجدت كتابا يحمل عنوان " منطق فهم الدين" لكاتبه: رمضان علي تبار، وقد عربه: حسن علي مطهر الهاشمي. والكتاب ٤١٧ صفحة وهو يتناول كما في ملخصه القضايا المهمة في فهم الدين ومنهجيته مثل: الشروط، والعوائق، والأضرار في فهم الدين، والأسس، والمبادئ المعرفية، والفلسفية، واللاهوتية لفهم الدين، والمصادر، والوثائق الوحيانية، والفطرية، والعقلية، والتاريخية والآفاقية.

والكتاب وإن تناول مسألة فهم الدين إلا أنه يختلف عن بحثنا هذا بصورة كلية، فهو يتكلم عن منطق فهم الإسلام بالمنهجية الشيعية، ولا يتعرض لفهم الأديان الأخرى، ويتناول الموضوع ليس باعتبار قضية فهم الدين صعبة أو بعيدة المنال، وإنما يعتبر قضية فهم الدين في متناول اليد وفق منهجية حاول رسمها في الكتاب.

بينما بحثنا يتناول مشكلة حقيقية تواجه الباحثين في الأديان بحثا أكاديميا، هي مشكلة مدى إمكانية تحقق فهم الأديان للمتخصصين في تاريخ الأديان ومقارنتها.

**منهج البحث:**

يقوم البحث على المنهج التحليلي والاستنباطي.

فالمنهج التحليلي يستخدمه الباحث في تحليل المسائل تحليلاً علمياً، ثم يتجه إلى المنهج الاستنباطي للخروج بنتائج يتغيا البحث الوصول إليها بهدف الإسهام في إثراء الحقل المعرفي المختص بمقارنة الأديان.

واجتهدت قدر الإمكان ألا أتحدث عن أي دين إلا من مصادره المعتمدة، ولم أعتن كثيراً بتعريف الواضح المكرور من المصطلحات لئلا يطول البحث، واكتفيت بتعريف ما يحتاج على تعريف.

وكل نقل نقلته بنصه دون تصرف وضعته بين علامات التنصيص، وبعض المواطن ألخص الفكرة من نص طويل جدا فأقول انظر كذا.

**خطة البحث:**

البحث مشتمل على المقدمة وأربعة مطالب والخاتمة.

فالمقدمة: تشتمل على أهمية البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المطلب الأول: مدى إمكانية فهم الأديان.

المطلب الثاني: من تجارب علمائنا المتقدمين في محاولة تحقيق فهم الأديان.

المطلب الثالث: عوائق تتعلق بفهم مضمون الأديان.

المطلب الرابع: عوائق تتعلق بالأديان من خارج مضمونها.

الخاتمة: تشمل على النتائج والتوصيات.

**المطلب الأول: مدى إمكانية فهم الأديان:**

يأتي هذا المطلب بمثابة مقدمة تمهيدية لما يليه من مطالب، فدارسو الأديان – غالبا – يبحثون في هذا المجال كي يمتلكوا تصورا عنها يتمكنون من خلاله من إعطاء تقييم صحيح لها، وهنا يرد سؤال قبلي مهم:

هل فهم الدين المخالف أو الأديان المخالفة أمر ممكن؟

أو بعبارة أخرى: هل نحن قادرون –كمختصين في علم الأديان – على فهم أديان غيرنا، وهل غيرنا يفهم ديننا حقاً؟

وهذه في تقديري مشكلة بل معضلة في هذا الحقل المعرفي لم تلق تحقيقا كافياً بعد، معضلة تحتاج إلى تحقيق وبحث عميق من قبل كل باحث في الأديان.

وجواب هذه الأسئلة في رأيي ينبغي أن يكون نسبياً، فحيثما قصدنا بالفهم الإحاطة الشاملة فذلك مستحيل أو شبه مستحيل أن يتم لباحث لأسباب سنذكرها لاحقا، وإن قصدنا فهم موضوع أو عدة موضوعات من دين ما فهذا أمر ممكن.

وهذا الكلام ينطبق على غير الإسلام، فالإسلام دين واضح بين بسيط خالي من العقيدات والغموض، وقد يسر الله القرآن للذكر، ومصادره محصورة في الوحي (الكتاب والسنة)، ومنهج تفسير نصوصه واضح، وقواعد التعامل مع كلام العلماء بينة فلا قداسة لأحد ولا عصمة إلا للمعصوم صلى الله عليه وسلم.

ويأتي سؤال آخر وهو: ما الفائدة المرجوة من طرح هذه المسألة؟

وجواب ذلك يتلخص في مسألتين:

الأولى: كون هذا السؤال يبعث جانباً أخلاقياً ينبغي أن يتدثر به الباحث في الأديان مهما بلغت خبرته وعلا كعبه وطال زمنه في دراسة الأديان، هذا الجانب الأخلاقي يتمثل في التواضع أولاً، حيث سيجد الباحث أنه أمام بحر عميق، علم منه أشياء وغابت عنه أشياء، وما فاته هو غالباً أكثر مما حصَّله.

الثانية: كون هذا السؤال كذلك يدعو الباحث والمختص في الأديان إلى ضرورة تثبيت جانب علمي منهجي وهو عدم التسرع بإطلاق أحكام تقييمية على الأديان قبل أن يُحصِّل القدر المناسب المؤهِّل لذلك، فموضوع فهم الأديان بصورة شاملة دقيقة ليس بالأمر الذي يسهل تمرير ادعائه. فكل حكم من أي باحث له تبعاته وآثاره الدينية والدنيوية.

وفي خضم موضوع فهم الأديان غلبت عدة آفات على كثير من الباحثين سواء غير المسلمين منهم أو المسلمين، هذه الآفات شوشت موضوع الفهم أو أعاقته، وأثمرت نتائج غير نزيهة وغير علمية.

فالباحثون الغربيون رغم إنجازاتهم المتميزة في علم الأديان إلا أن هذه الإنجازات قد شُحنت " بأخطاء علمية، وانحرافات تفسيرية، وأوجه قصور تحليلية في تناول الأديان العالمية لأسباب كثيرة منها:

- التجاوز المفرط في تقدير العقل الغربي، والإيمان المطلق بسيادته.
- اعتناق أفكار مسبقة عن الأديان وأتباعها ينطلق منها الباحثون والعلماء.
- محاولة فهم الأديان والفلسفات غير اليهودية والنصرانية في إطار المنظومات الفكرية الغربية بعيداً عن عوالم تلك الأديان الخاصة.
- عدم إدراك البعد التاريخي والثقافي لمصطلحات الأديان.
- عدم المعرفة الكافية بلغات تلك الأديان.
- قصور إدراك التنوع الثقافي، وتعدد التعبير الاجتماعي لأتباع الديانة الواحدة غير النصرانية واليهودية اللتين اعتبرتا- مجتمعتين- المكونتين لخلفية الثقافية الدينية للعالم الغربي"، وهذه الأخطاء والمغالطات – على الرغم من محاولة بعض المعاصرين منهم التغلب عليها وتصحيحها- لا تزال تمثل الكثرة الكاثرة من الكتابات الغربية التي أضحت مصادر الإنسان المعاصر ومراجعه عند الحديث عن الأديان" [١].

(١) دين محمد ميرا، ٢٠٠٨، نحو علم للأديان في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، ص: ٦٠-٦١. بحث منشور في الإنترنت، ولم أعثر على المجلة ذاتها.

وأما الباحثون المسلمون المعاصرون في الأديان فعلى الرغم من امتلاكهم ميزان عدل يتمثل في المنهج القرآني من حيث وجوب صحة الفهم والعدالة في الحكم على أي قضية، إلا أن القصور يشوب أعمال كثير منهم من نواحي أخرى علمية ومنهجية، أكثرها يتعلق بمدى تحقق فهمهم الكامل للدين المبحوث، وسنذكر ذلك في المطالب الآتية إن شاء الله.

**المطلب الثاني: من تجارب علمائنا المتقدمين في محاولة تحقيق فهم الأديان:**

امتاز المتقدمون من علمائنا المسلمين بالرصانة، والموسوعية، ودقة المنهجية، وتنزهت بحوثهم ومساعيهم عن كثير من الآفات التي تكتنف الباحثين اليوم في المشرق والمغرب. وكان من أبرز ما اتسموا به أنهم كانوا لا يصدرون أحكاماً وتقييمات إلا بعد حسن تصور، وعمق إدراك لما يبحثونه، حتى إنك لتراهم في صورة يكادون يفوقون في تصورهم للأديان أصحاب هذه الملل والأديان ذاتها، وذلك لإدراكهم أمانة الكلمة، وأهمية الفهم، وضرورة الإنصاف في الحكم.

وفيما يلي بعض النماذج لتجارب مختارة لعلماء الإسلام في محاولة تحقيق فهم دقيق وصحيح عن مذاهب وأديان الآخرين ومنهجية ذلك :

١) **تجربة الإمام الغزالي**: أبو حامد الغزالي الباحث عن الحقيقة وسط خضم هائل من الأديان والمعتقدات والفرق، وله في ذلك تجربة عميقة اعتمد فيها –رحمه الله– على قاعدتين مهمتين: (الزمن، والاستقراء)، أما الزمن فقد قضى – رحمه الله – أكثر من ربع قرن باحثاً مفتشاً، وناقداً بصيراً مقارناً، والبحث في هذا البحر المتلاطم يحتاج إلى زمن ليس بالقصير. وأما الاستقراء فقد استقرأ كافة الاتجاهات وأتى على أطرافها من كل وجه ليصل إلى معرفة الحق من الباطل.

وقد عبر عن ذلك بقوله:" اعلموا – أحسن الله تعالى إرشادكم، وألان للحق قيادكم – أن اختلاف الخلق في الأديان والملل، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة بالفرق، وتباين الطرق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجي، "وكل حزبٍ بما لديهم فرحون ." وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين صلوات الله عليه، وهو الصادق المصدوق حيث قال: «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة» [١].

فقد كان ما وعد أن يكون، ولم أزل في عنفوان شبابي – منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين – أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجّم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية

(١) يشير الغزالي إلى حديث ورد بالفاظ مختلفة وهو حديث عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: « أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، والحديث رواه أبو داود برقم: ( ٤٥٩٧ ) والحاكم برقم (٤٤٣) وصححه، وحسنه ابن حجر في "تخريج الكشاف" ص: ٦٣ ، والشاطبي في "الاعتصام" ١: ٤٣٠، والعراقي في " تخريج الإحياء، ٣ : ١٩٩ .

كلامه ومجادلته ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته." [١]. وقد أهله بحثه بهذه المنهجية إلى أن تكلم عن المذاهب والفلسفات والأديان ربما بصورة أدق من أهلها. وخرجت أحكامه دقيقة منصفة.

٢) **تجربة الشهرستاني**: للإمام الشهرستاني تجربة رائدة في دراسة الأديان، بناؤه على الاطلاع الواسع المستقصي المتأني قدر الطاقة، عبر عنها بقوله:" وبعد :فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون؛ عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر" [٢]. وقد تمكن من ذلك الشهرستاني بما امتلكه من أدوات لغوية التي قال عنها محقق كتابه "الملل والنحل"، أما لغاته فالذي نستطيع تحقيقه الآن أنه امتلك نواصي ثلاث لغات: اللغة العربية، واللغة الفارسية، واللغة اليونانية" [٣] .

وبناء على ذلك أخرج للبشرية كتابه القيم "الملل والنحل"، وهو كتاب فريد يعد أنموذجاً فريداً لكل من أراد دراسة الأديان والتصنيف فيها، حتى قال عنه ألفريد جيوم الإنجليزي :"إنه ظل المخلص الوافي الذي تبوب فيه الملل على اختلافها وخصائص ومميزات كل منها، مما جعله بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان"[٤]، ومن قبل جيوم قال ابن السبكي في الطبقات، وهو يترجم للشهرستاني:" صاحب كتاب "الملل والنحل" هُوَ عِنْدِي خَيْرُ كِتَابٍ صُنِّفَ فِي هَذَا الْبَابِ" [٥]. وقال عنه محققه العالم المدقق محمد بن فتح الله بدران :" ولعله قد آن الأوان أن نقرر في يقين واطمئنان أن الشهرستاني أقام بمفرده مدرسة فلسفية للملل والنحل، أو تاريخ الأديان، بدأها وأتمها هو ... وقد وضع منهجا محكما لتأريخه لمقالات أهل العالم ، يعتبر الشهرستاني بحق واضع منهج البحث في تاريخ الأديان" [٦].

٣) **تجربة البيروني في دراسة ديانة الهند**: وهي تجربة فريدة، بذل فيها الوقت الذي قارب عقدا من الزمان أو يزيد، صاحبه استقصاء كبير، مع أداة لغوية مهمة حيث تعلم لغة القوم إضافة إلى معايشتهم عملياً كأنه واحد منهم، كل ذلك لمحاولة تحقيق ما نبحثه الآن (فهم الدين)، وقد سجل ذلك كله قائلا :"ولقد أعيتني المداخل فيه، مع حرصي الذي تفرّدت به في أيّامي وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظانّ، واستحضار من يهتدي لها من المكامن،

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ١٩٦٤، المنقذ من الضلال، ط الرابعة– مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ص: ١١– ١٤.

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ١٩٥٦، الملل والنحل، المحقق: محمد فتح الله بدران، ط الثانية، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١: ١٩.

(٣) المرجع السابق، ١: ٥ من مقدمة المحقق د. محمد بن فتح الله بدران.

(٤) المرجع السابق، ١ : ٨ من مقدمة المحقق د . محمد بن فتح الله بدران.

(٥) تاج الدين علي بن عبد الوهاب السبكي طبقات الشافعية الكبرى، ١٤١٣هـ، المحقق: محمود الطناحي – وعبد الفتاح الحلو، طبعة الثانية، دار هجر، ٤: ٢١٣.

(٦) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل،١: ١٠ من مقدمة المحقق د . محمد بن فتح الله بدران.

ومن لغيري مثل ذلك إلا أن يرزق من توفيق الله ما حرمته في القدرة على الحركات عجزت فيها عن القبض والبسط في الأمر والنهي طوي عنّي جانبها، والشكر لله على ما كفي منها" [١].

ولا تخفى مكانة كتابه المذكور في دراسات الأديان على المستوى العالمي، فقد عرف قدره وأشاد بأهميته علماء الشرق والغرب المختصون في دراسة تاريخ الأديان، وأكدوا "أن كتاب تحقيق ما للهند، هو مصدر العالم الوحيد في معرفة عقائد الهنادكة وثقافتهم طوال العصور الوسطى" [٢].

ومن خلال هذه النماذج نلحظ أن مشكلة تحقيق فهم صحيح لدين الآخر كانت حاضرة في العقل الإسلامي وهو يبحث في الأديان، فكان الباحث المسلم يبذل قصارى جهده، فيبحث في كل مصدر، ويبذل أنفس أوقات عمره، ويستقصي مصادر القوم حتى يخرج لنا بنتيجة منصفة تتسم بالمنهجية والموضوعية، ومع ذلك فلا يمكن القول إن هؤلاء الفضلاء المتقدمين أتوا على كل ما ينبغي بحثه وفهمه في الأديان، نظراً لأن هذه الأديان التي درسوها وكتبوا فيها لم تعد اليوم على حالها يوم أن بحثوها، وذلك لما لحق بها من تطورات وتغييرات عبر العصور.

**المطلب الثالث: عوائق تتعلق بفهم مضمون الأديان:**

في هذا المطلب نعرض لأهم العوائق التي تتعلق بفهم مضمون الأديان المخالفة والإحاطة بها من الداخل.

ونقصد بمضمون الدين نصوصه المقدسة بمشتملاتها العقدية والأخلاقية والشعائرية والأخبارية وغيرها، وكذلك لغة الدين، ومناهج تفسير نصوصه، ومصطلحات تلك المناهج، وأسانيد تلك النصوص، وكل ما اعتبره أهله دينا يؤمنون به ويقدسونه.

وسيأتي الحديث في المطلب الآتي في بيان عوائق تتعلق بسياقات أخرى خارجية تتعلق بالدين.

وفي هذا المطلب يمكن للباحث أن يرصد جملة من العوائق التي تعوق دارس الأديان عن تحقيق فهم شامل ومحيط للأديان المخالفة في الآتي:

**أولا: لغة الدين ولغة مصادره:**

اللغة الدينية لغتان، لغة الكتاب المقدس أو الكتب المقدسة لأي ديانة، وهي التي يمكن تسميتها (لغة الدين)، ولغة المصادر التي دُوِّن بها تراث هذه الديانة وشروحها(لغة أهل الدين).

---

(١) أبو الريحان البيروني، ١٩٥٨م، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الطبعة المصرية الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر، الإصدار (١٠٩)، القاهرة، ٢٠٠٣، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد الدكن ص: ١٨.

(٢) حمدي الشرقاوي، ٢٠١٧، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي منهجا وقضايا، ط/ الأولى، بيروت، نقلا عن د. دين محمد ميرا علماء المسلمين وقضية المنهج ص: ٣٢، – ١٩٢.

وقد تتفق هاتان اللغتان (لغة مصادر الديانة مع لغة كتابها المقدس) كما هو حال الدين الإسلامي، فالعربية هي لغة القرآن العظيم ولغة الحديث الشريف يعني لغة (الوحي المقدس)، والعربية في ذات الوقت هي لغة (المصادر) التراثية التي يمكن من خلالها دراسة الإسلام وفهمه، وهذا يجعل فهم الإسلام أمرا ميسورا لكل ناطق بالعربية، وما سوى الإسلام من الأديان – بخاصة الكتابية — تختلف –في الغالب– لغة الكتاب المقدس أو الكتب المقدسة عن لغة مصادرها التي يمكن من خلالها التعرف على الدين، ويزداد الأمر تعقيداً بالنسبة للأديان الشرقية من حيث جانب اللغة، فغالب الدارسين للأديان الشرقية من العرب وغيرهم مثلاً لا يعرفون اللغات الشرقية التي دونت بها الكتب الدينية لهذه الأديان، ولا يعرفون كذلك لغة المصادر المعاصرة التي يتكلم بها أهل هذه الأديان ويكتبون بها. وقد أحدث ذلك حالة من الضعف في الدراسات العربية والإسلامية في دراسة تلك الأديان.

وفي كل الأحوال فإن الصعوبة تكمن في كون الباحث في أي دين عليه أولاً أن يتعلم اللغة الأصلية للكتب المقدسة كالآرامية والعبرية واليونانية واللاتينية والصينية، وبعض هذه اللغات منها ما هو كلاسيكي قديم تطور عبر الزمن واختلف في رحلته الطويلة عما هي عليه الآن، كالاختلاف الحاصل بين العبرية القديمة لغة التوراة وبين العبرية الحديثة لمن أراد دراسة اليهودية وفهمها. والاختلاف الهائل بين الصينية القديمة والصينية الوسطية والحديثة والمعاصرة لمن أراد مثلا أن يفهم الديانتين الطاوية والكونفوشيوسية.

وعليه كذلك أن يتعلم لغة المصادر التي كتب بها تراث هذه الديانة أو تلك، وهذا أمر نادر جدا في الباحثين العرب بالذات، ويصعب كذلك على كثير من الغربيين على الرغم من تقدم كثير منهم في هذا الموضوع. حيث تعلم بعضهم لغات كثيرة وصلت إلى أكثر من عشر لغات في بعض الأوقات، فكان تفوقهم في دراسة الأديان ظاهراً عما هو عليه الحال عندنا نحن المسلمين، على الرغم من الآفات الأخرى التي تكتنف دراسات هؤلاء الغربيين والتي ذكرناها في المطلب الأول.

ويتطلب حل هذه المعضلة تفكيرا جاداً وعميقاً، وخطوات عملية مكلفة وقتاً وجهداً ومادة، وأقرب فكرة لتجاوز هذه المعضلة ولو جزئياً أن تهتم أقسام الأديان بتدريس لغات الكتب المقدسة (لغة الدين)، وتشترط على الباحثين ضرورة تحصيل ( لغة الدين) التي سيدرسه الباحث ويكتب فيه، مع اشتراط تعلم ثلاث لغات على الأقل للطالب لكي يتخرج في دراسة الأديان، فضلا عن دراسة لغة حديثة من اللغات الأوربية وبخاصة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والإيطالية، وهذا معمول به في بعض الجامعات الغربية.

وقد تجاوز علماؤنا الأقدمون هذا العائق فأبدعوا في علم الأديان وسبقوا سبقاً بعيداً، حيث كان بعضهم يتقن أكثر من لغة، فالبيروني كان يتحدث مع لغته العربية اللغة الفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية، والشهرستاني كان يتحدث مع العربية الفارسية واليونانية، وأبو الحسن العامري قبلهم كان يتقن الفارسية مع العربية.

والاعتماد على لغة واحدة في دراسة الأديان لا يؤهل الباحث أن يكون متقناً فاهماً حق الفهم للديانة التي يدرسها، وتجعل دراسته محدودة ضيقة ضيق اللغة التي يكتب بها ويقرأ، اللهم إلا في ديانة تتوافق لغة كتابها المقدس مع لغة مصادرها التراثية كالإسلام. ويبدو أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يُتصور من أحد الباحثين أن يفهمه إلى حد كبير متى كانت لغته العربية أصلية أو طارئة بشرط أن يكون في القوة اللغوية كأهلها.

**ثانيا: تشعب مضمون الديانة وتعدد قضاياها:**

ومما يعيق مسألة فهم ديانة ما فهما شاملاً صحيحاً، تشعب مسائلها وقضاياها وزوايا النظر إليها، فدراسة الجانب العقدي مثلاً لأي ديانة شيء واسع جداً، فإن أراد الباحث أن يقارنه بديانة أخرى أو أكثر ازدادت الصعوبة، وبخاصة إن اختلفت المسائل العقدية داخل كل ديانة باختلاف فرق وطوائف أهل هذه الديانة. وقل مثل هذا في بقية جوانب أي ديانة سواء كانت جوانب تعبدية أو أحكاماً أو أخلاقاً أو غير ذلك، وقد حاولت شخصياً أن أستوعب مسألة واحدة فقط في النصرانية فلم أطمئن إلى شمول ودقة فهمي واستيعابي للمسألة، نظرا لتشعبها الذي لا ينتهي. هي مسألة (الليتورجيا)[١]. ومثلها مسألة التقليد وعلم " الآبائيات" الباترولوجي، وهذا في ديانة واحدة، فكيف ببقية المسائل وكيف ببقية الأديان.

**ثالثا: تعدد واختلاف مناهج التفسير لكل ديانة، وكذا مصطلحاتها:**

وضع أهل كل ديانة مناهج لتفسيرها، ومصطلحات دالة في تراثها، ويختلف المصطلح داخل تراث كل ديانة من موضوع لآخر، ومن علم لآخر، وعلى من يدرس الأديان أن يكون دقيقاً محيطاً بمناهج التفسير لكل ديانة، وبمصطلحات الموضوعات والعلوم الذي سيدرسها داخل الديانة الواحدة، ويتشعب الأمر باستعمال كل طائفة من أهل الديانة مصطلحات خاصة تحمل دلالات علمية ودينية، والإنصاف يقتضي الالتزام بمصطلحاتها عند التعبير عن معتقداتها.

وقد كان أكثر اشتغالي في تخصص (تاريخ الأديان) بالنصرانية، فرأيت تراثها من أوسع أنواع التراث الديني، ومصطلحاتها لا تكاد تنحصر، ومناهج تفسير النصوص فيها، وعلومها تحتاج إلى صبر، وطول نفس حتى إن عمر الباحث يكاد ينتهي ولا يزعم أنه أحاط بالنصرانية إحاطة علمية.

فلو أن باحثا تخصص في علم واحد فقط مثلاً من علوم النصرانية وهو علم "الآبائيات " "الباترولوجي" كما أشرت سابقاً، لاحتاج إلى سنوات كي يحيط به، ويصدر حكماً علمياً حوله. وهذا أحد علوم الديانة فكيف ببقية العلوم وبقية الأديان.

---

(١) الليتورجيا: مصطلح مسيحي يراد به ك صلوات الأسرار المقدسة ، والتناول، والمعمودية، ومسحة الرضى، والإكليل، وطقوس من سيامات الكهنوت، وكذلك صلوات أخرى ليست سرائرية كاللقان والسجدة والبصخة، والعشية وباكر، والتسبحة..الخ" ثبت أساس الكنيسة، الأنبا رفائيل، ص: ٤٨، القاهرة – ط أولى، دار الجيل، ٢٠٠٤م.

وتجاوز هذا العائق في تقديري ممكن باعتماد الدراسات العلمية الرأسية، والتقلل من الدراسات الأفقية، بحيث يختص كل باحث في علم واحد، أو منهج واحد، أو جانب واحد من الديانة خاصة الأديان الكتابية، أو الأديان الحية، فيغدو المجتمع العلمي متكاملاً فيما بينه، حين تتعذر أو تندر الموسوعية (الفرد الموسوعي) في دراسة علم الأديان اليوم.

ويمكن لأقسام الأديان في العالم الإسلامي أن تعتمد في دراستها للأديان نظام المشروع العلمي أو المشروع البحثي المتكامل الذي يجتمع على إنجازه فريق متخصص، عمدته الدراسة الرأسية كما ذكرت.

**رابعا: تعدد الفرق والطوائف داخل كل ديانة:**

ومن أصعب المسائل التي تشتت استيعاب الدارس وتفرق عليه جمعه: كثرة الفرق والطوائف والجماعات الداخلية بين أهل كل ديانة، وقد اعتبرت هذا العائق متعلقا بمضمون الديانة من الداخل، لاعتبارات حقيقية فبعض الأديان تزيد كتبها أو تنقص بحسب طوائفها كالنصرانية واليهودية، وبعض الأديان كأنها ديانتان كالبوذية، وهذا يحدث فرقاً واضحا في فهم الديانة على مذهب كل طائفة وما تؤمن به، وبقية الأديان بها طوائف وصل بها الأمر أن تضيف مصادر دينية، أو كتباً وأسفاراً مقدسة، لا تعترف بها فرق أو طوائف أخرى من داخل نفس الديانة.

وتعدد وانقسام أهل ديانة إلى فرق وطوائف، ووجود مبادئ ومعتقدات وربما كتب ومصادر – كما ذكرنا– لكل طائفة أمر يشتت الباحث ويتطلب منه جهداً ضخماً لحصر ذلك كله والاطلاع عليه، حتى يدعي أنه قد استوعب حقيقة هذه الديانة باستيعاب مقولات كل فرقة وطائفة فيها.

ومن يقرأ كتاباً مثل مقالات الإسلاميين للأشعري، أو الملل والنحل للشهرستاني، أو الفصل لابن حزم وغيرهم من علمائنا يدرك مدى الحيرة والتشتت، وهو يبحر مع هذه الفرق والأديان في مقولاتهم ومذاهبهم ورجالهم ومراحل تطورهم، وما انقرض من أهلها وما بقي.

وفي العصر الحديث لو ضربنا مثلاً بطائفة مسيحية واحدة هي (البروتستانتية) نجدها في ذاتها تنقسم ما بين ٣٣,٠٠٠ إلى ٤٥,٠٠٠ ألف جماعة، وبين كل جماعة منها اختلافات، فكيف بباقي مذاهب الديانة نفسها كالكاثوليك والأرثوذوكس القديم منها والحديث، وقل مثل هذه تقريبا في كافة الأديان.

وإذا انتقل الباحث للمقارنة بين ديانة وأخرى تشعبت به الأمور وازدادت الصعوبة كما ذكرت آنفا.

وتبقى مسألة جديرة بالنظر في هذا السياق هي قضية استيعاب روح الديانة، فلو افترضنا أن باحثاً اطلع نظرياً على ديانة ما من خلال مدوناتها، فهل يمكنه القول بأنه استوعب روح الديانة؟. لا يمكن قول ذلك أو الجزم به. فأقل ما يلزم لتحقيق ذلك هو العيش فترة كافية بين أهلها كما فعل البيروني، وأقصاه الدخول في الديانة نفسها بالتحول إليها. وليس هذا ممكنا لكل باحث. وقد حدثنا بعض أساتذتنا أن أحد أساتذته من دارسي الأديان من غير المسلمين تنقل بين أكثر من خمس ديانات يعتنق كل ديانة بالفعل، يعيش بين أهلها كأحدهم، ويمارس طقوسها، وغرضه بذلك فهم روح وتفاصيل

كل ديانة، وهذا التحول من حين لآخر لا يجوز لمسلم فعله لاعتبارات عقدية إسلامية، وغاية الأمر أن يطلع بتوسع ويعايش أهل الديانة التي يدرسها ويتعرف أحوالهم عن قرب مع إنصاف وتجرد.

**خامسا: اختلاف رؤية الأديان للإنسان:**

الأديان رسالة للإنسان سواء أكان ديناً إلهياً، أو فلسفة اخترعها الإنسان وسماها ديناً. ويمكن القول بأن (نظرة الدين للإنسان) من أهم العوامل المنهجية المؤثرة في مخرجات المقارنة بين الأديان. وتختلف الأديان اختلافاً هائلاً في نظرتها للإنسان، وتأتي تشريعات كل ديانة وطقوسها فتحدد الغايات للإنسان تبعا لموقف الأديان للإنسان.

فبينما يرى الإسلام أن الإنسان يولد على الفطرة سعيداً بريئاً لا يحمل خطيئة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ »[١]، ويقرر أن أحداً لا يحمل وزر أحد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]، وهو قادر بنفسه وباختياره أن يسلك أحد طريقين: إما طريق الشقاء وإما طريق الهداية والسعادة، ويمكنه بنفسه أن يخلص نفسه من غضب الله تعالى بتحقيق التقوى. وليس في حاجة إلى مخلص من خارج ذاته، فهو في نظر الإسلام حر مختار يتحمل نتيجة ومآلات اختياره.

وتختلف الأديان الأخرى عن الإسلام في هذه المسألة، حيث جاءت بحمولات مختلفة تماماً في موقفها من الإنسان، حيث جاءت كلها لحل مشكلة تتعلق بالإنسان، بينما يرى الإسلام أن الإنسان يولد بلا خطيئة ولا مشكلة. فاليهودية والنصرانية جاءت لتحل مشكلة الخطيئة التي ورثها الإنسان عن آدم، وسعت لتحقيق الخلاص كغاية، ومن هنا دار الدين كله حول تخليص هذا الإنسان من خطيئته الذاتية التي ولد بها. ولذا كانت عقائد الصلب والفداء في النصرانية، وعقيدة المسيح المخلص في اليهودية، وتولدت عن هذا التصور معتقدات وأفكار شكلت مضمون الديانتين[٣].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٣٨٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٣) ينظر في هذه المسألة: القديس أوغسطينوس، الطبيعة البشرية وعمل النعمة، ترجمة: أنبا إيساك، (القاهرة، ط الأولى، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج)، ص: ٩٠–١١٢، وعادل تيودور خوري، الظاهرة الدينية – الخلاص مفهومه وسبله، (جونيه، لبنان، المكتبة البوليسية، ٢٠٠٩) ص: ١٠–٢٥.

وأما الديانات الشرقية فقد نظرت إلى الإنسان باعتبار كونه مخطئاً شقياً بالفطرة، ودارت هذه الأديان في مضمونها وأعمالها حول تحقيق السعادة والتخلص من الرغبات والشهوات كطريق وحيد لتحقيق ذلك. وقد رأينا كيف شكل مفهوم "الكارما"[١]، مسار الديانات الشرقية كالبوذية والهندوسية.

ففهم هذه المنطلقات والأبعاد لكل ديانة ومعرفة موقفها من الإنسان، كيف نظرت إليه؟، وما هي رسالته في الحياة بناء عليها؟، وما علاقة تشريعاتها وعقائدها بهذا المنطلق يعد جزءاً من منهج فهم كل ديانة وتفسيرها والحكم عليها.

**المطلب الرابع: عوائق تتعلق بالأديان من خارج مضمونها:**

تعرضنا في المطلب السابق للعوائق المتعلقة بفهم الدين من حيث مضمونه الداخلي، وفي هذا المطلب نتناول العوائق المتعلقة بالأديان بسياقات خارج مضمونها لكنها تؤثر في فهمه والبحث فيه وهي:

**أولا: الامتداد الزمني والمكاني لكل ديانة:**

لا يقل الأمر صعوبة عندما ندرس تاريخ كل ديانة على امتداده الزمني والجغرافي والبشري، فكثير من الديانات أثر فيها عامل الزمان والتاريخ، وأحدث تطورات وتحولات في مضمون الديانة ومحتواها عبر الزمن، فمضمون الكتاب المقدس لليهودية والنصرانية يمكن القول فيه بأنه نتاج حوادث هائلة مرت بالديانتين يعرفها دارسو تاريخ هاتين الديانتين، ولا تختلف الأديان الشرقية عن ذلك فقد وقعت تحت تأثير الزمن الممتد فاتخذت أشكالا وضمت إضافات عبر الزمن وتطور الأحداث، وكذلك كان للمكان أثر من حيث تأثير السلطات السياسية كما حصل في النصرانية من تأثرها الظاهر الشديد بدين الروم، حتى قال القاضي عبد الجبار بعد ذكر ما تغير في النصرانية مما نقله بولس عن الرومانية وكيف تحولت على ديانة رومية وثنية "فاختلع بولس من ديانات المسيح وصار إلى ديانات الروم. فإذا تبينت الأمر وجدت النصارى تروموا ورجعوا إلى ديانات الروم ولم تجد الروم تنصروا"[٢]، والأحداث الدينية، بل حتى الأجناس البشرية التي تعتنق ديانة ما، وقد تأثرت ديانات بأخرى بمجرد دخولها في جغرافية ديانة أخرى، كما حصل للبوذية التي كانت بمثابة حركة تطورية إصلاحية في الهندوسية ثم صارت ديناً مستقلاً[٣]، وحصول الاندماجات بين الديانة الوافدة والديانة السابقة المستقرة. وظاهرة التشابه بين الأديان يساعد في تفسيرها هذه المسائل وتلك الأبعاد.

---

(١) ينظر في ذلك، غلاب: محمد، الفلسفة الشرقية، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٣٨) ص: ١١٥–١٢٥، وكاير، جوزيف، حكمة الأديان الحية، ترجمة ك حسين الكيلاني، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة،١٩٥٦)، ص: ١٢–٤٠. ولمعرفة مصطلح الكارما وفلسفته ينظر: ليفشينوف: أندريه، الكارما: التحكم بالمصير، ترجمة: طه الولي، (دمشق، دار علاء الدين، ط الأولى، ٢٠٠٥)، ص: ١٩–٢٩.

(٢) الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: عبد الكريم عثمان،(بيروت، لبنان، دار العربية، ١٩٦٦م)، ١ :١٥٨.

(٣) لفنسون، كلود .ب، البوذية، ترجمة: محمد علي مقلد،(فرنسا، دار المطبوعات الجامعية الفرنسية، ودار الكتاب الجديد المتحدة، ط الأولى ٢٠٠٨)، ص: ٢٤–٣٤.

وفي هذا السياق أؤكد مرة ثانية على مسألة منهجية هي اختلاف صورة الأديان وفرقها وطوائفها عبر الزمن، جراء تأثير هذه العوامل، وهذا يقتضي تحديثا علمياً وبحثياً دائماً، فلا يصح منهجياً الانحصار داخل الصورة التاريخية للفرق أو المذاهب أو الأديان التي دونها المتقدمون، متجاهلين أو متناسيين ما طرأ عليها عبر الزمن. والأمثلة على ذلك لا تحصى فهل يمكن لباحث مثلا في النصرانية أن قف في بحث طوائفها عن القرن الخامس عشر الميلادي قبل ظهور البروتستانتية، لا شك أن إهمال وجود هذه الطائفة الكبيرة التي ظهرت نتيجة تطور تاريخي هائل قصور شديد، بل حتى لا يصح الوقوف عند مجرد ظهورها التاريخي في القرن السادس عشر دون النظر في واقعها اليوم من حيث آلاف الطوائف التي انبثقت عنها، والبلاد التي انتشرت فيها. وفي تاريخ الإسلام لا يصح كذلك الوقوف عندما كتبه الأولون من الفرق والمذاهب، فهذا لا يسعفنا في فهم ما نشأ وظهر بعد ذلك من الفرق والجماعات المعاصرة كالقاديانية والبهائية والقرآنيين وغيرهم. وهكذا في كل دين.

**ثانيا: البدع والهرطقات في الأديان :**

ظهرت في كل الأديان بدع وهرطقات اعتبرها أهلها خارجة عن مضمون الديانة، وتشكلت هذه البدع في صورة مقولات وتيارات بعضها ساد وبعضها باد، ودراسة هذه البدع وتاريخها وتطوراتها أمر واسع جداً يحتاج في استيعابه إلى زمن وطول نفس من الباحثين. وما من ديانة إلا وظهرت في تاريخها الديني فرق ومذاهب صُنفت ووصفت بانها بدع أو هرطقات أو انحرافات، وانظر في تاريخ المسلمين كيف ينظر أهل السنة إلى مخالفيهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والروافض وغيره، فهؤلاء جميعا في نظرنا نحن أهل السنة أهل بدع، وإن كانوا أهل قبلة، وهؤلاء لهم تصور خاص عن الإسلام في بعض أو كثير من مسائله وقضاياه. وكذلك في النصرانية، فانظر موقف الأرثوذوكس مثلا من جماعة تنشر في العالم اليوم تحت اسم " شهود يهوه" تجدهم يكفرونها ولا يعتبرونها نصرانية.

والمراد أن وجود هذه التشعبات من البدع والهرطقات التي هي في نظر أصحاب الديانة خارجة ولو جزئيا عن مسار الديانة تثقل كاهل الباحث في الأديان، وقد يخطيء فيعمم حكمها على الديانة نفسها، ولذلك نقول إنه من الخطأ عند الحكم على هذه البدع والهرطقات أن يسحب الباحث الحكم عليها على أهل الديانة جميعاً، فهذا مسلك ظالم ، يولد الخطأ في الحكم على الديانة وتقييمها.

وقد حذر من ذلك العامري وهو يضع ميزانا للمقارنة بين الأديان فقال: "إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صواباً وقد يكون خطأ. وصورة الصواب معلقة بشيئين:

أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك.

والآخر: ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق، غير مستفيضة في كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها" [١].

وحتى لا يقع الباحث في هذا التعميم الذي حذر منه العامري، يلزمه الفصل بين المقولات، ومعرفة القائل بكل مقولة ونسبة المقولة إليه دون غيره، وهذا لا يتأتى إلا بعد طول بحث وتمييز. وقد جَعلتُ البدع ضمن السياق الخارجي عن الديانة، باعتبار الحقيقة، و باعتبار نظرة أهل كل ديانة لمفهوم الهرطقة والابتداع، حيث يعتبرون البدع خارجة عن مضمون الدين.

**ثالثا: كثرة المصادر وتعددها:**

ويضاف إلى ما سبق من عقبات وتحديات تعدد الكتب والمصادر المعبرة عن الأديان وكثرتها، ما بين مصادر كتبها أهل الديانة، وأخرى كتبها عنها غيرهم، وتعدد اللغات التي كتبت بها، وهذا يقتضي معرفة الكتب المعتمدة لدى أصحاب هذه الديانة من غير المعتمدة، ويقتضي معرفة موقع الرجال المصنفين في كل ديانة هل هم مُوثّقُون أم مُضعّفُون لدى أهل هذه الديانة. فمن غير العلمي أن نعتمد أقوالا أو تفسيرات لديانة ما من كلام أناس غير معتبرين لدى أهلها.

ودراسة الأديان ومخرجاتها العلمية في وضعها المعاصر في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية وإن كانت مقبولة إلى حد ما، لكنها ليست الحالة المثالية التي يوصف أصحابها بأنهم متخصصون في دراسة الأديان، اللهم إلا مجازاً، وذلك للاعتبارات التي ذكرناها كمعوقات لتحقيق فهم شامل دقيق للأديان.

ولعل صنيع البيروني في دراسته للهند ديانة وحضارة يؤكد ما ذهبنا إليه من صعوبة دراسة الأديان، حيث احتاج الرجل إلى عشرة أعوام كي يمتلك تصوراً صحيحاً ودقيقاً عن ديانة واحدة، اضطر في سبيل تحقيق ذلك إلى تعلم لغة القوم، والعيش بين ظهرانيهم، والاطلاع على تفاصيل ما لديهم هذه المدة الطويلة، ليخرج لنا بكتابه العمدة " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة".

**رابعا: مشكلة عدم التفريق بين الدين والتدين:**

وهذه إحدى أهم المشوشات في طريق فهم الأديان، وهذه المشكلة تختلف عن مسألة تعدد الفرق والطوائف داخل أهل كل ديانة التي تناولناها سابقاً.

وبيان هذه المشكلة أن هناك ما نسميه (الدين المجرد)، وهناك ما يطلق عليه الآن (التدين) أو (التجربة الدينية) وهي الحالة التي تتجلى فيها علاقة الأفراد والمجتمعات بدينها من ناحية القرب أو البعد ، فقد يكون لدين ما مضمون واحد لا يتغير في ذاته كالإسلام، لكن التجارب الدينية من قبل المؤمنين به تتعدد بإزائه وتأخذ ألواناً شتى، وقد يكون الدين في ذاته متعدد المضامين متشعب الخصائص حتى يبدو كأنه في ذاته أديان كالبوذية والهندوسية، بل حتى الأديان الكتابية المعاصرة

(١) أبو الحسن العامري، ١٩٨٨، الإعلام بمناقب الإسلام، المحقق: أحمد عبد الحميد غراب، ط الأولى، السعودية، مؤسسة دار الأصالة، ص: ١٢٥.

(اليهودية والنصرانية)، وتتعدد بإزاء هذا التعدد الديني داخل كل ديانة التجارب الدينية، والبعض في دراسته للدين وتقييمه إياه يغلب عليه التأثر بالتجارب الدينية، فيصدر حكمه على دين ما من خلال تحليل تلك التجارب.

وهذا لا شك مجاف للصواب والإنصاف، بل هو ظلم للدين الذي يراد فهمه ودراسته أيا كانت طبيعة الدين، فالتجارب البشرية في علاقتها بالدين فهماً وتديناً تختلف اختلافاً ملحوظا ربما بعدد معتنقي الدين نفسه، وذلك لاختلاف فهوم الناس وقدراتهم وإقبالهم أو إدبارهم عن الدين، وتعدد طبائعهم النفسية، وطاقاتهم وقدراتهم الجسدية بل والمادية.

ومن هنا يجب الفصل في دراسة الأديان بين دراسة التجارب الدينية للأفراد والطوائف باستعمال مناهج علم الاجتماع الديني، وبين الدين أو المذهب ذاته باستخدام مناهج تفسير هذا الدين بعد الوقوف على نصوصه التأسيسية. ومعلوم كذلك صعوبة قياس التجربة الدينية للأفراد، بينما الحكم على مضمون دين ما أسهل بكثير من الحكم على تجربة الفرد.

ويلحق بالتجارب الدينية والفرق بينها وبين الأديان ذاتها، قضية منهجية أيضا وهي ضرورة التفريق بين النصوص التأسيسية لأي ديانة، وبين تفسيرات الشراح لهذه النصوص.

ولهذا الأمر تفصيل خلاصته أن مكانة وقدسية أقوال البشر في تفسير الأديان تختلف من ديانة لأخرى في الغالب، ففي الإسلام لا معصوم سوى النبي صلى الله عليه وسلم، فكلام الأئمة والعلماء معتبر متى وافق الوحي، ومهدر متى خالفه، كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

ومثل هذا الأصل الأصيل لا نجده مثلا في النصرانية، إذ هي ديانة تقليد، فكلام المجامع والباباوات حتى ولو كان إضافة جديدة للدين هو دين يوازي وربما يفوق نص الكتاب المقدس، والمراد التفريق بين النص الديني وتفسيراته البشرية لدى كل ديانة. ولو ضربنا على ذلك مثالاً سنجد أن من أهم الكتب في النصرانية والمسمى بـ (الديداكية، أو تعليم الرسل الاثني عشر)، الذي يقولون عنه بأنه " من أهم المستندات الكنسية التي أتتنا من القرن الثاني، ومن أقدم مراجع التعليم الديني والتشريع الكنسي"[١] وهو أيضا عندهم " مختصر التعليم المسيحي الواجب تلقينه على الراغبين في اعتناق دين المسيح"[٢]، مثل هذا الكتاب الذي يقرون بأن مؤلفه مجهول، ويقولون: إنه عاش عام مائة ومائة وخمسين، ويتوقعون أنه من أعيان إنطاكية. هذا الكتاب معتمد عندهم على أساس واحد فقط هو التقليد، والكتاب أساس في اللوتروجيات والطقوس الكنسية، والمستند الوحيد في اعتماده أن الآباء اعتمدوه مرجعاً زاعمين أنه تعليم الرب يسوع للأمم كما نقله الرسل الاثني عشر، وهذا الاعتماد من الآباء هو المعروف بـ (التقليد المقدس)، وما نشأ عن ذلك من تعاليم أو قرارات أخذ صفة القداسة التي تفوق في بعض الأوقات قداسة الكتاب المقدس ذاته.

(١) الديداكية، تعريب الأبوين جورج نصور، ويوحنا ثابت(رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الوسط، الكسليك ١٩٧٥)، ص ٩.

(٢) السابق ص ٩.

**الخاتمة:**

والخاتمة تشمل على النتائج والتوصيات:

**أولا: نتائج البحث:**

- يعاني درس مقارنة الأديان من أزمة الفهم الحقيقي والصحيح والشامل للأديان، على الرغم من كثرة الدراسات التي تقذف بها المكتبات، ويصدرها الأكاديميون.
- تعد قضية فهم الأديان معضلة حقيقية جديرة بالدرس والبحث والاهتمام من قبل الأكاديميين والمؤسسات العلمية والبحثية نظرا لما تمثله من أهمية وخطورة دينية ودنيوية من حيث النتائج والمخرجات.
- تتمثل عوائق فهم الأديان في مساحتين: مساحة تتعلق بمضمون الأديان من حيث لغتها، ومصادرها، ومناهج تفسيرها، وموقفها من الإنسان. ومساحة تتعلق بسياقات خارجة عن مضمون الأديان، كتاريخ الدين، أثره في تطوره، وكذلك الهرطقات والبدع التي حدثت فيه، وتأثير الحوادث والأزمات، والزمن والتجارب الدينية.
- من الأسس العلمية في مقارنة الأديان والتي تسهم في تحقيق الفهم الصحيح للأديان التفريق بين الدين والتدين، والتفريق بين نصوص الكتب المقدسة وتفسيرات البشر، إلا في ديانة تعتبر كلام رجالاتها دينا.

**التوصيات:**

يوصي الباحث بالآتي:

- العناية بتعلم اللغات الأصلية للكتب المقدسة في الأديان، إضافة إلى تعلم اللغات الحية المعاصرة لتوسيع دائرة الاطلاع على ما يصدر عن الأديان حول العالم.
- التوجه نحو الدراسات الرأسية المتخصصة، والتقليل من الدراسات الأفقية في دراسة الأديان.
- عدم الوقوف عند ما دونه المتقدمون من علمائنا حول الأديان، للاختلافات الهائلة التي حصلت لها عبر الزمن، الأمر الذي يقتضي تحديثا للمعلومات والبحوث لرصد ما استجد وطرأ وتغير في هذه الأديان.
- التوسع في دراسة التجارب الدينية للمجتمعات الدينية، والمقارنة بينها وبين الدين نفسه.
- التقليل من الدراسات النظرية، وإعادة مناهج القدمين كالبيروني الذي اعتمد المعايشة والقرب من الهندوس في دراسة الدين.

**أهم المراجع:**

أولا: المراجع العربية:

١. القران الكريم.
٢. ابن السبكي، تاج الدين علي بن عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى،ت: محمود الطناحي – عبد الفتاح الحلو، طبعة الثانية، القاهرة، دار هجر، ١٤١٣هـ .

٣. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ، الطبعة المصرية الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر، ٢٠٠٣، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية –حيدر آباد الدكن ١٩٥٨م

٤. الشرقاوي/ حمدي عبد الله، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي منهجا وقضايا، ط الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٢٧.

٥. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل للشهرستاني، ت:محمد فتح الله بدران، ط الثانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م .

٦. العامري، أبو الحسن محمد بن أبي ذر، الإعلام بمناقب الإسلام، ت: أحمد عبد الحميد غراب، ط الأولى، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، ١٩٨٨م.

٧. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد ، المنقذ من الضلال، ط الرابعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤م

٨. ميرا، دين محمد، نحو علم للأديان في العالم الإسلامي، *مجلة الدراسات الإسلامية*، جامعة إسلام أباد، ٢٠٠٨.

ثانيا: المراجع مترجمة إلى الإنجليزية:

١. The Holy Quran
٢. Al-Subkī, Tāj al-Dīn ʻAlī ibn ʻAbd al-Wahhāb. *Al-Ṭabaqāt al-shāfiʻīyah al-kubrá.* ٢nd ed. Edited by Maḥmūd al-Ṭanāḥī and ʻAbd al-Fattāḥ al-Ḥulw. Cairo: Dār Hijr, ١٩٩٢.
٣. Al-Bīrūnī, Abū al-Rayḥān Muḥammad ibn Aḥmad. *Taḥqīq mā lil-Hind min maqūlah maqbūlah fī al-ʻaql aw mardhūlah.* Cairo: Al-Hay'ah al-ʻĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah, Silsilat al-Dhakhā'ir, ٢٠٠٣. Facsimile of the edition published by Dā'irat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah - Hyderabad Deccan, ١٩٥٨.
٤. Al-Sharqāwī, Ḥamdī ʻAbd Allāh. *ʻIlm muqāranat al-adyān fī al-turāth al-fikrī al-Islāmī: manhajan wa-qadāyā.* ١st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, ٢٠١٧.
٥. Al-Shahrastānī, Muḥammad ibn ʻAbd al-Karīm. *Al-Milal wa-al-nihal.* Edited by Muḥammad Fatḥ Allāh Badrān. ٢nd ed. Cairo: Maktabat al-Anjilū al-Miṣrīyah, ١٩٥٦.
٦. Al-ʻĀmirī, Abū al-Ḥasan Muḥammad ibn Abī Dharr. *Al-Iʻlām bi-manāqib al-Islām.* Edited by Aḥmad ʻAbd al-Ḥamīd Gharāb. ١st ed. Riyadh: Mu'assasat Dār al-Aṣālah, ١٩٨٨.
٧. Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad. *Al-Munqidh min al-ḍalāl.* ٤th ed. Cairo: Maktabat al-Anjilū al-Miṣrīyah, ١٩٦٤.
٨. Mir, Dīn Muḥammad. "Naḥwa ʻilm lil-adyān fī al-ʻālam al-Islāmī (Towards a Science of Religions in the Islamic World)." *Majallat al-Dirāsāt al-Islāmīyah (Journal of Islamic Studies)* ٤٣, no. ٣ (٢٠٠٨): [Page range would typically be included here, e.g., ١٥-٤٢].